

دليل الحريات في القرآن الكريم



1- حرّية الاختيار:

قال تعالى: (وَقُلِّدَ الْحَقُّ مَنِ رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلَا يُوْذَى مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ فَلَا يَكْفُرْ...) (الكهف/ 29).

- التطبيق الحياتي: إذا فكّرت تفكيراً حرّاً مستقلاً، فلا بدّ أن يقودك إلى الحقّ لأنّه ينسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة، وأمّا إذا استسلمت لهواك، وخضعت للتقاليد والعادات والأعراف والشهوات المنحرفة، زاغَ البصرُ وزلّت القدم.

فالإنسان في الإسلام حرّ في اختياره بعدما اتّضح له سبيل الرشـد (طريق الحق) وسبيل الغيّ (طريق الكفر والانحراف)، وعليه أن يتحمّل مسؤوليّة اختياره في النتائج الإيجابية المترتّبة على الرشـد والإيمان، وفي النتائج السلبية المترتّبة على الغي والعصيان.

إذاً أنتَ الذي تصنع مصيرك بنفسك من خلال حُسن أو سوء إختيارك، ويصدق ذلك عليك كفرد وعلى المجتمع كمصير جماعي. ولا بدّ من التنبيه والتنبيه إلى أنّ إرادة الإنسان (تالية) وإرادتك (سابقة)، فعلى ضوء المقدّمات تكون النتائج.

ورد في الحديث: "مَنْ أَرَادَ عِزًّا بَلَ عَشِيرَةٍ، وَغَنًى بَلَ مَالٍ، وَهَيْبَةً بَلَ سُلْطَانٍ، فَلْيَنْتَقِلْ مِنْ ذَلِكَ."

معصية □ إلى عزٍّ طاعته".

وعن الإمام الصادق (ع): "إنَّ □ فَوْضَ إلى المؤمن أموره كلها، ولم يُفَوِّضْ إليه أن يُذِلَّ نفسه، قال: يتعرَّضُ لما لا يُطِيق، أو يدخل في ما يعتذر منه".

2- الحرِّية الفكرية:

قال تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...) (البقرة/ 256).

- التطبيق الحياتي: □ تعالى أعطاك فرصة الاختيار بعدما قدَّم لك الأدلَّة والبراهين، على أنَّ الدِّينَ هو الحقُّ، وأنَّ الكفر هو الباطل، وبكلمةٍ أخرى، فإنَّ □ لا يريد أن يفرض دينه عليك من خلال (التشريع) بل من خلال (الاختيار).

فالدِّينَ هو فكر وعلى مقدار أعمالك لعقلك تهتدي لصلاحه وصلاحيَّته للحياة، وقد قيل: إنَّ قضية الإيمان والكفر هي قضية إستعمال أدوات المعرفة التي تفتح قلبك على الحقيقة وعينك على الحياة. فإذا أغمضتَ عينيكَ عن الشمس وأنكرتها فلا يعني ذلك عدم وجودها، بل يعني أنَّك عطَّلت أداة المعرفة بها والكشف عنها.

إنَّ لك كامل الحرِّية في أن تطرح علامات الإستفهام التي تدورُ في ذهنك وتُطالب بالأجوبة الشافية عنها، حتى لا يبقى هناك شيء غامض يوحى لك بالقلق والحيرة، فإنَّ تعالى لا يريد أن تكون لك حجَّةٌ عليه.

3- الحرِّية الشخصية:

قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونُوا لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...) (الأحزاب/ 36).

- التطبيق الحياتي: لا حرِّية أمام أوامر □ ونواهيهِ، بل لا بدَّ من الإستسلام المطلق؛ لأنَّ إرادتك - بعدما آمنت - هي صدى لإرادة □، فلا إستقلالية لك أمامه، إستقلاليَّتكَ هي أمام الآخرين كلَّهم، وهذا هو معنى أنَّ (عبوديَّتكَ) □ هي حرِّيتكَ الحقيقيَّة؛ لأنَّها تُحرِّرك من كلِّ القيود المصطنعة.

فبإستجابتك لإرادة □، تحفظ توازنك، ويحفظ المجتمع نظامه، وتحفظ الحياة قوَّتها وإستقرارها وإزدهارها.

فسواء كان حكم □ موافقاً لمزاجك أو مخالفاً له، فلا مجال للاختيار الذاتي، أو الموازنة بين ما تريد وما يريد □، هذا هو معنى (الإسلام).. فهو أن تختار ما يختاره □، وأن تشتهي ما يريد لك الله؛ لأنَّه لم يأمرك بباطل ولم ينهك عن حقٍّ، فكلَّ ما في أوامره ونواهيهِ مصلحة لك قدَّرت ذلك أم لم تقدِّر.

فأنتَ لستَ أمام قانون وضعي لتعطي رأيك فيه، فمصمِّم القوانين هنا ومُرتَّبِدها، هو نفسه الذي صمَّمك ورتَّبَكَ وركَّبَكَ، فعرفَ ما يُصلحك وما يُفسدك، فدعاكَ إلى الأولى ومنعكَ من الثانية؛ لتسعد

في الحياة لا تشقى فيها .

يقول عز وجل: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور / 51).

وقال جلّ جلاله: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء / 65).

وقال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...) (النساء / 125).

4- الحرّية الجنسية:

قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذَا كَانَ فِي حَرْشَةٍ وَنَسَاءٍ سَابِغًا) (الإسراء / 32).

- التطبيق الحياتي: للعلاقات الجنسية في الإسلام نظام وقناة تأمين وهو (الزواج) وما عداه فهو إعتداء على حرّيات، وإنحراف عن القاعدة الإجتماعية التي أرد الله لها أن تحكم تلك العلاقات.

فالزّنا ليس مسألة فردية تخضع للمشاعر الجنسية أو نزواتك الغريزية، بل هو تمرّد على نظام إجتماعي، ويخطئ من يتصور أنّ الزّنا أمر خاص لا علاقة له بالنظام الإجتماعي الذي يُحدّد الخطّ الأخلاقي لعلاقاتك مع مجتمعك، حيث لابدّ من مراعاة العفة والطهارة كقيم عليا في هذه العلاقات، كما أنّ للزّنا علاقة خطيرة في إختلاط الأنساب، وفقدان الجوهر الأسري الذي تسوده المودّة والرحمة.

وما يُقال عن الزّنا، يُقال عن الشّذوذ الجنسي، لواطاً وسحاقاً، وبالتالي فليس في الإسلام (حرمان) بل فيه (تنظيم) و(تقنين)، أي أنّ القيود الشرعية في العلاقات الإنسانية تستهدف حماية الأجواء العامّة من النتائج السلبية.

لم يكن يوسف (ع) يعاني عنّة جنسية، بل هو كأيّ شابٍّ ممتلئ رغبة جنسية، لكنّه وقف في مفترق طريق، بين أن يُلبّس رغبة امرأة العزيز فيفقد مناعته الأخلاقية، ويخون وليّ نعمته، وبين أن يرفض الإنحراف. ليحفظ لروحه طهارتها من خلال محافظته على طهارة جسده. فهو لم يكن يرفض المرأة بدليل أنّّه تزوّج فيما بعد، ولكنّه رفض أن يعصي الله في علاقة غير مشروعة، ولذلك فإنّّه بعد المرور بالتجربة الصعبة والذلّج فيها، شعر بقوة أكثر، وحررّيته أكثر، وبقربه من الله أكثر.

وبالأقوياء الممانعين - كيوسف (ع) وأمثاله - تُبنى الحياة الصالحة.

5- الحرّية الإقتصادية:

قال تعالى في مجادلة قوم شعيب شعيباً (ع): (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتَنَزَّلَ مِمَّا يَْعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَوْنًا نَفْعَلُ فِيهِ أَمْ نَؤْتِرُكَ مَا تَشَاءُ...) (هود / 87).

- التطبيق الحياتي: الإسلام يدعو إلى الحررية المالية من خلال مصلحة الإنسان وتوازن الحياة، وهو يرفض الحرية الاقتصادية التي لا تخضع للمفاهيم الإنسانية والأخلاقية. فالإسلام هنا يفصل بين فهمين: فهم قوم شعيب للملكية الفردية: (نَفْعُ عَلٍ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)، بلا ضوابط. وفهم شعيب (ع) للحرية الاقتصادية: (.. إِنْ أُريدُ إِلَّا الإصلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ...) (هود/ 88)، أي الإيمان بالحرية الاقتصادية على أن لا يستغلها أصحابها في إفساد الحياة والناس، فإذا تحولت إلى عنصر إفساد، وقف الإسلام بحزم ليُقيدها. قال تعالى في الحجر على أموال السفهاء الذين لا يحسنون التصرف بأموالهم: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا...) (النساء/ 5). وبناءً على ذلك، فإن الإسلام يرى أن مصلحة الإنسان في الحياة تفرض بعض التحفظات والقيود والضغوط التي تساهم في تصحيح مسيرته من جهة، وتمنع أيّة عملية إفساد في المجتمع من جهة أخرى، ليعيش المجتمع في توازن إقتصادي لا يُهدد استقراره ولا يُعرّض الناس للإبتزاز والاستغلال.